بُنَاة دَولَـةِ الإسْلام

- ٥١ -

خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ

ابْنِ جَنْدَلَةَ بنِ سَعْدِ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَنَاةَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَهُوَ عَرَبِيُّ الأَرُومَةِ. يُكَنَّى بِأَبِي يَحْيَى، وَيُقَالُ: بِأَبِي عَبْدِاللَّهِ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ.

أَصَابَهُ سَبْيٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبِيعَ فِي مَكَّةَ فَاشْتَرَتْهُ أُمُّ أَنْمَارٍ وَهِيَ أُمُّ سِبَاعٍ الخُزَاعِيَّةَ، الَّتِي كَانَتْ خَتَّانَةً بِمَكَّةَ، وَحَلِيفَةَ بَنِي زُهْرَةَ فَخَبَّابٌ تَمِيمِيٌّ بِالأَصْلِ، خُزَاعِيٌّ بِالوَلَاءِ، زُهْرِيٌّ بِالحِلْفِ.

وُلِدَ خَبَّابٌ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالثَّلاثِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَتَزَوَّجَ وَأَنْجَبَ، وَعُرِفَ مِنْ أَوْلَادِهِ «عَبْدُاللَّهِ».

إِسْلَامُ خَبَّابٍ

أَسْلَمَ خَبَّابٌ فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ بَلْ كَانَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ

أَسْلَمُوا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَهُ تِسْعَةَ عَشَرَ مُسْلِمَاً، وَكَانَ هُوَ الْمُسْلِمُ الْعِشْرِينَ، كَمَا كَانَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا إِسلاَمَهُمْ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَخَبَّابُ، وَبِلاَلُ، وَعَمَّارُ، وَصُهَيْبُ. وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ أَسْلَمَ أَرْبَعَاً وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ إِسْلاَمِهِ إِلَى مَوْلاَتِهِ أُمِّ أَنْمَار غَضِبَتْ غَضَبَاً شَدِيدَاً، وَجُنَّ جُنُونُهَا، فَأَذَاقَتْهُ الْعَذَابَ الْمُرَّ، وَأَهَانَتْهُ فِي سَبِيلِ رُجُوعِهِ عَنْ دِينِهِ فَعَجَزَتْ، وَأَعَانَهَا عَلَيْهِ طَوَاغِيتُ قُرَيْشٍ فَلَمْ يَسْتَفِيدُوا شَيْئَاً.

يُرْوَى أَنَّ خَبَّابَاً جَاءَ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَقَالَ: ادْنُهْ فَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا المَجْلِسِ مِنْكَ إِلَّا عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، فَجَعَلَ خَبَّابُ يُرِيَهُ آثَارَاً فِي ظَهْرِهِ مِمَّا عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ.

وَيُرْوَى أَنَّ خَبَّابَ بنَ الأَرتِّ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مُتَّكَئِهِ وَقَالَ: مَا عَلَى الأَرْضِ أَحَدُ أَحَقُّ بِهَذَا المَجْلِسِ مِنْ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ. فَقَالَ لَهُ خَبَّابُ: مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بِلاَلُ. فَقَالَ لَهُ خَبَّابُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هُوَ بِأَحَقِّ مِنِّي، إِنَّ بِلاَلاً كَانَ لَهُ فِي الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَمْنَعُهُ اللَّهُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَاً أَخَذُونِي وَأَوْقَدُوا لِي نَارَاً ثُمَّ سَلَقُونِي فِيهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي فَمَا

اتَّقَيْتُ الأَرْضَ ـ أَوْ قَالَ بَرْدَ الأَرْضِ ـ إِلاَّ بِظَهْرِي، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرِصَ.

أَسْلَمَ خَبَّابٌ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ، فَلَمَّا دَخَلَهَا كَانَ خَبَّابٌ مِنَ الَّذِينَ يَحْضِرُونَ فِيْهَا ذَلِكَ اللِّقَاءَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَلَقَّوْنَ مِنْهُ، وَبَعْدَهَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَقِيَ فِي أُسْرَةِ بَنِي عَدِيٍّ الَّتِي ضَمَّتْ سَعِيدَ بنَ زَيْدِ بنِ عَمْروٍ، ابْنَ عَمِّ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَزَوْجَهِ فَاطِمَةَ بِنْتَ الخَطَّابِ أُخْتِ عُمَرَ، وَنُعَيْمَ بنَ عَبْدِاللَّهِ النَّحَّامِ العَدَوِيِّ أَيْضاً.

وَبَيْنَمَا كَانَ عُمَرَ بنُ الخَطَّابِ ذَاتَ يَوْمٍ يَهِمُّ بِالذَّهَابِ إِلَى دَارِ الأَرْقَمِ لِيَقْتُلَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى زَعْمِهِ، التَقَى بِـ «نُعَيْمِ بنِ عَبْدِاللَّهِ» وَسَأَلَ عَبْدُاللَّهِ عَنْ وَجْهَةِ عُمَرَ، وَلَمَّا عَلِمَ قَصْدَهُ عَمِلَ عَلَى ثَنْيِهِ عَنْهُ وَلَمْ يَجِدْ بُدَّاً مِنْ أَنْ يَصْرِفَهُ إِلَى دَارِ ابْنِ عَمِّهِ سَعِيدٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيْهَا خَبَّاباً، وَلَكِنَّ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُتَابِعَ عُمَرَ طَرِيقَهُ إِلَى دَارِ الأَرْقَمِ، أَوْ هَكَذَا كَانَ اجْتِهَادُهُ.

وَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى دَارِ ابنِ عَمِّهِ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ، وَفِيْهَا خَبَّابٌ يُقْرِىءُ سَعِيدَاً وَزَوْجَهُ فَاطِمَةَ مِنْ صَحِيفَةٍ فِيْهَا سُورَةُ «طَه» فَلَمَّا

سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، تَغَيَّبَ خَبَّابٌ فِي مَخْدَعٍ لَهُمْ، أَوْ فِي بَعْضِ البَيْتِ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا مِنَ البَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَّابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الهَيْنَمَةُ الَّتِي سَمِعْتُ؟ قَالاَ لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئاً؛ قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّداً عَلَى دِينِهِ، وَبَطَشَ بِخَتْنِهِ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ؛ فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّابِ لِتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتْنُهُ: نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ. فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ، فَارْعَوَى، وَقَالَ لِأُخْتِهِ: أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعتُكُمْ تَقْرَؤُونَ آنِفاً أَنْظُرُ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ عُمَرُ كَاتِباً، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ: لَا تَخَافِي، وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا؛ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إِسْلاَمِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ، عَلَى شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الطَّاهِرُ، فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ، وَفِيْهَا «طه» فَقَرَأَهَا، فَلَمَّا قَرأَ صَدْراً قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الكَلاَمُ وَأَكْرَمَهُ! فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ

أَيِّدِ الإِسْلَامَ بِأَبِي الحَكَم بنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَاللَّهَ اللَّهَ يَا عُمَرُ. فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ: فَدُلَّنِي يَا خَبَّابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأُسْلِمَ. فَقَالَ لَهُ خَبَّابٌ: هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَذَهَبَ عُمَرُ وَأَسْلَمَ، وَكَانَ هَذَا سَبَبَاً فِي إِسْلَامِهِ ـ واللَّهُ أَعْلَمُ.

هِجْرَةُ خَبَّابٍ

قَالَ خَبَّابٌ: كُنْتُ رَجُلاً قَيْناً، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بنِ وَائِلٍ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ لِي: لَنْ أَقْضِيَكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لَنْ أَكْفُرَ بِهِ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: إِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ، قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً...﴾[1].

لَمَّا هَاجَرَ خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ هُوَ وَالمِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو، فَلَمْ يَبْرَحَا مَنْزِلَهُ حَتَّى تُوُفِّيَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى بَدْرٍ بِيَسِيرٍ، فَتَحَوَّلَا فَنَزَلَا عَلَى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ فَلَمْ يَزَالَا عِنْدَهُ حَتَّى فُتِحَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ.

---

(١) سورة مريم: الآيات ٧٧ ـ ٨٠.

وَآخَى رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ خَبَّـابِ بنِ الأَرَتِّ وَبَيْنَ جَبْرِ بنِ عَتِيكٍ.

وَشَهِدَ مَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَـدْرَاً وَأُحُدَاً وَالخَنْدَقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ مَعْـرَكَةٍ أَبَـدَاً. وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَخَرَجَ لِلْجِهَادِ، وَسَكَنَ الكُوفَةَ، وَبَقِيَ فِيْهَا حَتَّى تُوُفِّيَ.

وَفَاةُ خَبَّابٍ

أَصَابَ خَبَّابَاً المَرَضُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ، فَاكْتَوَى سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَشَعَرَ بِالتَّعَبِ. يَقُولُ حَارِثَةُ بنُ مُضَرِّبٍ: دَخَلْتُ عَلَى خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ أَعُودُهُ، وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَمَنَّى المَوْتَ لَأَلْفَانِي قَدْ تَمَنَّيْتُهُ.

وَأُتِيَ بِكَفَنِـهِ قَبَاطِيٍّ فَبَكَى ثُمَّ قَـالَ: لَكِنَّ حَمْـزَةَ عَمَّ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ فَـإِذَا مُدَّتْ عَلَى قَـدَمَيْهِ قَلَصَتْ عَنْ رَأْسِهِ وَإِذَا مُدَّتْ عَلَى رَأْسِـهِ قَلَصَتْ عَنْ قَدَمَيْهِ حَتَّى جُعِلَ عَلَيْهِ إِذْخِرٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مَا أَمْلِكُ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً وَإِنَّ فِي نَاحِيَةِ بَيْتِي فِي تَابُوتِي لَأَرْبَعِينَ أَلْفَ وَافٍ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ قَدْ عُجِّلَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا.

عَادَ خَبَّاباً نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَبْشِرْ يَا أَبَا عَبْدِاللَّهِ، إِخْوَانُكَ تَقْدَمُ عَلَيْهِمْ غَداً، فَبَكَى وَقَالَ: أَبْكِي عَلَيْهَا مِنْ حَالِي أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِي جَزَعٌ، وَلَكِنْ ذَكَّرْتُمُونِي أَقْوَاماً وَسَمَّيْتُمُوهُمْ لِي إِخْوَاناً، وَإِنَّ أُولَئِكَ مَضَوْا بِأَجُورِهِمْ كَمَا هِيَ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ثَوَابُ مَا تَذْكُرُونَ مِنْ تِلْكَ الأَعْمَالِ مَا أُوتِينَا بَعْدَهُمْ.

وَكَانَ النَّاسُ يَدْفُنُونَ مَوْتَاهُمْ بِالكُوفَةِ فِي جَبَابِينِهِمْ (مَقَابِرِهِمْ)، فَلَمَّا ثَقُلَ خَبَّابٌ قَالَ لِابْنِهِ: أَيْ بُنَيَّ إِذَا أَنَا مِتُّ فَادْفُنِّي بِهَذَا الظَّهْرِ، فَإِنَّكَ لَوْ قَدْ دَفَنْتَنِي بِالظَّهْرِ، قِيلَ دُفِنَ بِالظَّهْرِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَفَنَ النَّاسُ مَوْتَاهُمْ. فَلَمَّا مَاتَ خَبَّابٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ، دُفِنَ بِالظَّهْرِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَدْفُونٍ بِظَهْرِ الكُوفَةِ خَبَّابٌ.

تُوُفِّيَ خَبَّابٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثاً وَسَبْعِينَ سَنَةً. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَبَرَهُ عَلِيٌّ بِالكُوفَةِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ.

رَوَى خَبَّـابُ اثْنَيْنِ وَثَـلَاثِينَ حَـدِيثاً مِنْهَـا: ثَـلَاثَـةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَانْفَـرَدَ البُخَـارِيُّ بِحَـدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِحَـدِيثٍ وَاحِدٍ.